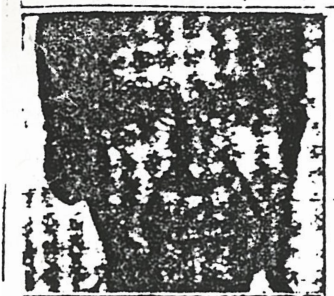
جريدة القادسية

بمناسبة اربعينية الدكتور نوري جعفر



ذكريات في حضرة الموت

عبدالرزاق المطلبي



فاجاني موته الذي حدث في السابع من شهر الثاني كما لم يفاجاني موت الشاعر انور خليل رحمه الله . الذي سمعت به متاخرا ايضا قبل سنوات . نعم فاجاني خبر موت الدكتور نوري جعفر على الرغم من ان الموت قدر كل انسان . وعلى الرغم من كبر سنه ومرضه وتعبه وقلقه الذي تزايد على احوال عائلته في الاونة الاخيرة . فاجاني موت هذا الانسان الذي لاادري لماذا ترسب في يقيني انه عصي على الموت . او ان الموت لايليق به ان يقترب منه وهو بهذا الجد وهذه الحركة وهذا النشاط . ولكن لماذا ؟ الانه مايزال يحمل الكثير من مشاريع الدراسات والكتب والمقالات التي اراد ان يثري بها مجال اختصاصه (التربية وعلم النفس) والاصول العلمية التشريحية للابداع الادبي والفني والعلمي . وتلك التي جعلها بدراساته الرائدة مجالات اخر له كتاريخ الادب العربي والتاريخ الاسلامي وعلم الاجتماع والتربية الاسلامية . لقد اعطى الكثير الذي يقصر اي انسان عن حصره . فبحر عطائه يمتد من دوائر اختصاصه في الجامعات والمراكز العلمية في العالم الى مدارج كلية التربية والكليات الاخرى في العراق . الى مراكز الدراسة (كمركز البحوث التربوية والنفسية ودار ثقافة الاطفال ووزارة العمل والشؤون الاجتماعية) الى الصحف والمجلات والدوريات في العالم والعراق .

ولو حاولنا حصر كتبه وتاليفه لما قدرنا . اذ ان الذي نشر او هو قيد النشر في مراكز النشر . وماهو قيد النشر من المقالات والدراسات في مجالات النشر كثير

هذا العالم التربوي القدير كم تركت شخصيته المتواضعة البسيطة من بصمات في الاوساط التي عمل بها . انني لا اظن احدا يمكن ان ينسى فيه الانسان القريب جدا من النفس . المشجع الذي يشعرك بمسؤوليته عنك وعن عملك . ويقف معك بعين وييسر بكل مايقدر عليه . وانا اعرف انه كان يشعرني . انا الذي ربما كنت بعمر اخ اصغر له . بمسؤولية الاب وحنو الاستاذ الحريص جدا على نجاح تلميذه . كان يقول لي ولزميل اخر هو الفنان ضياء الحجار . وربما لزملاء اخرين اننا بالنسبة له مثل ابنه علي . وكان عند كلمته . فانا لااتذكر ابدا . حتى لو كانت لديه مشاغل الدنيا . انه يعد وينفذ في الموعد . وهو ياتي اليك حاملا ماكلف بانجازه برجليه . يمشي المسافات الطويلة . عجيب .. وكان المسافات في بغداد هي عينها المسافات الطويلة التي قطعها ويقطعها من القرنة الى تلك النقطة البعيدة في جنوب شرق اسيا لحضور مؤتمر تربوي عالمي دولي . ومن البصرة الى اوتاوا في كندا . حارة محطاته دائما بجامعة اكسفورد في لندن التي سبق ان درس وحاضر فيها وعد من اساتذتها بحيث منحته امتيازات الاستاذ وحقوقه التي تاتي الرعاية الصحية السنوية على حساب الجامعة بالكشوفات الطبية في اقسام كليتها الطبية اخرها . وهي المسافات ذاتها ربما التي قطعها وانتهى منها الان ليقيم في كرغربة في ليبيا حيث بني له ضريح مهيب يليق بمقامه في قلب جامعة بنغازي . عجيبة اذن هي تصاريف الزمان . والاعجب من هذا ان ترك للموت ان يفصله عن ابنه الصغير علي الذي رباه وليدا رضيعا (ماتت امه ايام ولادته) وحمل ثقل دور الاب والام له ولاخوانه منذئذ . مدافعا بعطائه العلمي وجهوده التربوية في الدرس والبحث والدراسة عن حياتهم . لحملهم جميعا في سفينة [illegible]

على وهو طالب في الاعدادية الان على ماأظن اعانه الله وصبره وصبر اخوانه على مصابنا جميعا به ..

اتذكر تلك اللحظة من ذلك اليوم . حيث طرقت عليه باب بيته . مندوبا من السيدة امل الشرقي . حيث كانت (مديرة عامة) لدار ثقافة الاطفال يومها كنت اقدم رجلا واؤخر الثانية او انا اتخيل مقابلة رسمية لشخص . ربما سينظر بعين اخرى لما نريد ان نفاتحه به . غير انني حين خرجت منه عرفت انني ساخذ منه الكثير . وانني ساعمل معه في مجالات كثيرة مما يقع ضمن اختصاصه واهتمامات الدار . اولها كان ذلك المشروع الضخم الكبير . مشروع اصدار موسوعة تربوية عن الاطفال تعنى بدراسات عن حلقات النمو عند الاطفال . من النمو العقلي والنفسي والشعوري واللغوي ونمو الاحساس والتذوق والتعبير الى مستويات النمو الجسدي الفسلجي ونمو النشاطات الاجتماعية والحركية كالرياضة واللهو واللعب والتعامل مع الفراغ الى اخرها من الموضوعات الخاصة بجوانب النمو لدى الاطفال . وكان من الممكن ان يرى هذا المشروع النور . حتى اننا انجزنا تسمية الموضوعات الاصلية والفرعية . وجرت تسمية بعض الاساتذة والمختصين الذين سيسهمون في كتابة تلك الموضوعات (قمنا معا بزياراتهم واحدا واحدا في اماكن اعمالهم) وانتهينا تماما من دراسة طبيعة المشروع واخراجه غير ان الحرب واعتذار بعض المختصين وعدم جدية اخرين جعل المشروع يتلكا اولا ثم يركن في الرفوف

لقد اعتدت على حضور المرحوم الدكتور نوري جعفر في كل عمل . كما اعتادت دار ثقافة الاطفال . فهو العصا التي كنا نمد ايدينا اليها كلما تقدمنا نحو عمل او مشروع . وكانت (مجلة ثقافة الاطفال) اخر المشاريع التي سارع للعون في اصدار عددها الاول . وكان مستشارها التربوي

كان عالمنا الكبير الدكتور نوري جعفر يكن محبة حقيقية للدار وللعاملين فيها جميعا

هل اتكلم عن تواضعه ؟ اتذكر ذلك الموقف الذي لم انسه ومازلت اتذكره واتعلم منه . حيث ترددت في كتابة ملاحظات تخص التحرير ونشر الموضوعات للاطفال على احد المقالات التي كان قد كتبها للدار . حيث اخبرته مداريا انني امتحن معلوماتي . اذ اذكر تلك الملاحظات . واذا به يعاتبني . ويخبرني ان مثل تلك الملاحظات تفيده كثيرا وانها ربما تذكره بشيء فاته او بشيء سينتبه له . وان اهتمامه بمادة اختصاصه ومصطلحاتها قد فوت عليه الاهتمام بمدى ملاءمتها للنشر هنا او هناك . وانه يطالبني ويطالب غيري بضرورة الكشف عن اية فكرة يمكن ان تثيرها قراءتنا لموضوعاته .. لقد كان يوحي بالثقة والتشجيع لكل من يعمل معه او يقترب من عمله . اخلاصا منه والتزاما بمنهجه الانساني التربوي الذي جعله معتادا على تقديم الاخرين دائما على نفسه . فيرعى الجميع رعايته لاسرته ..

رحمك الله ياعالمنا الجليل واستاذنا الكبير ومعلمنا الكثير العطاء .

رحمك الله يااخانا الكبير ..

- رحمك الله ايها الناسك المنقطع للعلم والمعرفة ..

رحمك الله ايها الراحل بعيدا عنا المغترب بجسده عنا حين مات بعيدا عن وطنه واهله طيب الله ثراك واسكنك جناته [illegible]